سوسيولوجيا

النسيج القبلي لحوض تارڭيست من منظور الجينيالوجيا الأمازيغية

جمال أبرنوص: باحث في الثقافة الأمازيغية

توطئة

يسعى هذه المقال إلى تقديم فرش تاريخي أولي يمكن أن يستنير بهديه الباحثون و المنشغلون بمختلف التجليات السوسيوثقافية التي يحضنها مجال حوض تارگيست[1]، و هي دراسة تتوخى أيضا إثارة الانتباه إلى الأهمية القصوى التي تكتسيها

---

[1] : يقع حوض تارگيست بالمعنى الجغرافي ضمن الريف الأوسط من المغرب الشمالي. تحده من الشرق هضبة "ايت عمارت"، ومن الجنوب والجنوب الغربي جبال قبيلتي "زرقت"، و"آيت بونصار"، ومن الغرب يحده جبل "تيدغين"، أما من الجهة الشمالية فتحده قبائل "آيت ورياغل" و"ايت يطفت" و"بني بوفراح".

- أحمد الطويل: "حوض تارگسيت وهوامشه، دراسة إقليمية"، بحث لنيل الإجازة ، فاس 1978/1979، ص:5.

غير أن الحوض باعتباره تقطيعا جيولوجيا (المنبسط الذي يقل ارتفاعه عن 1100م)، وهو ما يشكل بالمناسبة مجال دراستنا هاته، فيضيق كثيرا ليكتفي بمساحة أصغر، إذ يبدأ غربا من هضاب وكديات "آيت سدات" و"زرقت" و"آيت خنوس"، ويبدأ جنوبا من المجموعة الجبلية لزرقت (جبال "بوقراوش" و"ورسان" و"تيزي

قضية البحث في ثنايا هذا المجال، ليس من باب المساهمة في سد الفراغ البيبليوغرافي الذي تعيشه المنطقة فحسب، و لا من باب التنديد بالقسمة الضيزى التي تزكيها مؤسسات البحث العلمي بإيثارها لمجالات على أخرى، و لكن من باب آخر أكثر أهمية، نمتلك فيه تصورا جريئا نرى بموجبه أن حوض تارگيست يستأهل أن يكون موضوع مشروع بحث علمي كبير، و ذلك لأنه يمثل على المستوى السوسيوثقافي فضاء حاضنا لثراء قل نظيره في غيره من بقاع الريف، و المغرب على وجه التعميم، و سنكتفي هنا، لبيان هذا الغنى المزعوم، بإثارة التمثيلية القبلية المتنوعة داخل المجال، فضلا عن تنوع خطوط الفصل اللهجي Linges d' isoglosse[2] الذي يزخر بها، و هذان المتغيران يستتبعان ضرورة وجود أنساق ثقافية غنية شديدة التركيب، و أشكال تعبير كثيفة يمتزج فيها الأصيل بالصدى، و الأثيل بالطارئ، و المحلي بالوافد... و تلكم سمات تعطي الحوض فرادته و خصوصيته، مثلما تعطي الباحثين، و الفضل يعود إلى صغر مساحة الحوض أيضا، فرصة لاستكشاف أغوار التساكن الاجتماعي و التواصل اللغوي والثقافي بين الأهالي. و لو شئنا توصيفا سوسيولوجيا أكثر دقة لقلنا أن حوض

افري")، ويقف من الجهة الجنوبية الغربية عند حدود جبال "ايت مزدوي" (قاروع اوزناگ)، لكنه يمتد شرقا إلى حدود مدشري "تمركالت" و"امرابطن" التابعين للمجال القبلي "لايت ورياغل". أما شمالا فيبدأ من سفوح جبال "تيغالين" و"تيزي ن تغدوين" و"تيمويا" و"ايت عيسى" و"اسماعلن" و"لمعلمين" و"ايزوغار" و"الباب دابياط".

[2] : يطلق اللفظ على الخطوط النموذجية التي تفصل بين منوعتين لهجيتين، تتباينان على مستوى عدد من الأشكال والأنظمة اللسانية (فونولوجيا أو معجميا ..) .
- Dictionnaire de linguistique, librairie larousse, 1973, p :270.

تاركيست يمثل سوقا Marché نموذجيا مصغرا حيا يستطيع أن يمدنا بالطرق التي تم بها تدبير الممتلكات الرمزية في منطقة الريف عموما، بمنطق الرواج و البوار، و الهيمنة و الاختلاف. و من ثم يستطيع الباحث الوقوف على الكلفة الحقيقية التي قدمتها مختلف أشكال التعبير الثقافي المحلية قربانا للتعايش الإنساني الذي وسم المنطقة .

لا مناص من الإشارة أيضا، و المقام يستوجب ذلك، أن هدفنا من إثارة مثل هذا السؤال التاريخي ليس هو الإحاطة بمسار تشكل النسيج القبلي للحوض، فذاك يستحق لوحده بحثا تاريخيا مستفيضا. إن غايتنا الأساس لا تتجاوز محاولة رسم الملامح الكبرى لمسار هذا التشكل*. و ذلك من خلال النبش في النزر القليل من المصادر و المراجع التي تناولت أو تضمنت بعضا من الإشارات التاريخية ذات الصلة، إضافة إلى ما توفر لدينا من وثائق محلية و روايات شفوية مدنا بمعظمها الباحث و الإخباري و النسابة "إدريس التسولي"[3] الذي يعتبر بحق ينبوع تاريخ المنطقة الذي لا يجف، و معينها الوثائقي الذي لا ينضب.

---

* - يعتبر البحث الذي أنجزه الباحث عبد الرحمن الطيبي في هذا الإطار نموذجا للبحث التاريخي المستفيض، إذ تناول ببعض التركيز التطور التاريخي لعدد من القبائل الريفية، بدءا من مرحلة ما قبل دخول الإسلام إلى حدود العشرية الأولى من القرن الماضي.

- عبد الرحمن الطيبي: المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية: قبائل ساحل الريف الأوسط من 1860 إلى 1912 .بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، في التاريخ المعاصر، الجزء الأول السنة الجامعية 1992-1993.

[3] : أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للباحث "إدريس التسولي" على ما أحاط به هذه الدراسة من سابغ العناية .

بداية نشير إلى أن الإطار النظري و التصور العام اللذين يوجهان تعقبنا التاريخي لمسار تشكل قبائل الحوض يرتكن في جانب كبير منه إلى الفرضية الجينيالوجية التقليدية التي تقضي بالتمييز بين ثلاث أرومات أمازيغية أصلية: صنهاجة و زناتة و مصمودة، إضافة إلى عرب وافدين إلى المنطقة في فترات تاريخية مختلفة.

1- صنهاجة السراير

تقر تسمية القبيلة التي نحن بصدد تتبع النقاط الكبرى لمسار تشكلها إقرارا صريحا بالانتماء إلى أحد بطون شعب صنهاجة، و هو الأمر الذي تجمع عليه كافة المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها، ننتقي منها ما أورده عبد الوهاب بنمنصور في معرض تقديمه لمختلف البطون المشكلة لشعب صنهاجة.

"صنهاجة السراير: أحد بطون شعب صنهاجة، و هي قبيلة كبيرة بإقليم الحسيمة من المغرب الأقصى، تشتمل على تسعة بطون بلغ كل منها درجة القبيلة، و هي بني أحمد، بني بشير، بني بونصار، بني بوشيبت، تغزوت، بني خنوس، زرقت، كتامة، بني سدات"[4].

و هو نفس ما يؤكده الباحث التقي العلوي في سياق تحديده لعدد من التجمعات الصنهاجية بالريف، إذ يقول: "و تشكل صنهاجة السراير اتحادية كبرى تذكرنا باتحادية الأطلس، و هي تشتمل على عدة قبائل تتحدث أغلبيتها بلهجة بربرية بعيدة عن لهجة المنطقة المعروفة بتاريفيت، و هاته اللهجة المتداولة عند أهل الاتحادية تقترب شيئا من لهجة الأطلس المعروفة بتامازيغت"[5].

---

[4] - عبد الوهاب بنمنصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط، ص 334.

[5] - التقي العلوي: "أصول المغاربة: القسم البربري" مجلة البحث العلمي، ع.27، ص: 206.

أما بخصوص الأصول الأولى لهذه الاتحادية القبلية، و هو الإشكال الذي يندرج عموما ضمن سؤال أصول صنهاجة الشمال، فنورد بصددها بعضا من الآراء و الأطروحات.

يرى « M.Bellaire » أن التكتلات الصنهاجية المستقرة بالشمال قد وفدت إلى المنطقة في إطار نزوح قبلي جماعي من الجنوب المغربي، مرغمة بالقبائل (المصمودية) على التراجع قسرا نحو الجهة الشمالية الغربية[6].

أما « E.F.Goutier» فيعتقد أن غزوا زناتيا عظيما هو الذي أدى إلى تقسيم القبائل الصنهاجية المستقرة بالمنطقة في فترة سابقة إلى شطرين: صنهاجيو القبائل الجزائريون شرقا و صنهاجيو الأطلس المغربي غربا[7]. و هو الطرح الذي يكاد يتبناه الباحث « G.S. Colin » في إطار دراسته حول اللهجة الأمازيغية لقبيلة غمارة[8].

غير أن الاستقرار الصنهاجي بالمنطقة لا يعود فقط إلى هذا التاريخ الضارب في القدم، ذلك أن استقرار جزء هام من القبائل الصنهاجية بالمنطقة يعود تقريبا إلى المرحلتين المرابطية و الموحدية. و في هذه المرحلة بالذات، يؤكد أحد الباحثين، سوف يتم استقرار جزء هام ممن سيعرفون فيما بعد "بصنهاجيي السراير"[9].

غير أن الملاحظة المثيرة للانتباه هي أن الإقرار بالانتماء القبلي إلى صنهاجة السراير لم يتم تسجيله، و نحن نسأل بعضا من أهالي القبيلة إلا عند قلة قليلة، و هم تحديدا من الشيوخ و كبار السن، بينما تعلن النسبة الغالبة من الشباب انتماءها للإطارات القبلية الفرعية من قبيل: بني بونصار، بني خنوس، زرقت...

---

6 - A. Rénisio : « Etude sur les dialéctes bérbères des Beni Iznassen Du Rif et des Sanhaja de Sraîr » édition Ernest Leroux 1932, p :X

7 - Ibid.

8 - G.S Colin : « Le parler Bérbère de Ghomara », hesperis, Tome IX, 1929.

9 - G. Maurer, Op.Cit. p :16.

و هو الأمر الذي يدفعنا إلى قبول فرضية تاريخية هامة تخص مظاهر كاشفة عن تفكك العديد من البناءات القبلية، ذلك أن العديد من الإطارات القبلية تتفكك إلى مجموعات قبلية فرعية، ثم تنصهر في لفوف و إطارات قبلية جديدة، و هو أمر ناتج عن حقيقة مبدئية أساسية، و هي أن البناءات القبلية وليدة ضرورات سياسية و اجتماعية، بالتالي فهي تندثر كلا أو بعضا بزوال تلك الضرورات أو تجاوزها نظرا لتغير الأحوال و بروز عوامل أخرى تتحكم في الدينامية التاريخية[10]. و قياسا مع ما حدث من ضمور لهذا الإطار القبلي، تمدنا بعض المصادر التاريخية بأسماء بعض التكتلات القبلية الصنهاجية التي عرفتها المنطقة في فترة سابقة عن تشكل الاتحادية السرايرية، منها مثلا صنهاجة مفتاح أو صنهاجة البرنسية التي كانت تستوطن، إلى حدود القرن الرابع الهجري، حيزا جغرافيا يمتد شمالا إلى حدود الساحل المتوسطي[11]. و أيضا صنهاجة بني بونصار* التي و إن كان من الصعب الجزم بخصوص إطارها الجغرافي أو تاريخ تشكلها فإننا نستطيع التأكيد و استنادا إلى بعض الوثائق العائلية التي وقفنا عليها، أن هذا الإطار القبلي يمتد تاريخيا -على الأقل- إلى حدود العقد الثالث من القرن الثاني عشر الهجري. غير أن وثيقة أورد فحواها الباحث**

---

[10]- علي صدقي أزايكو: تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة، إصدارات مركز طارق بن زياد ، ط.1. 2002، ص: 137

[11]- اعتمدنا هنا على إحدى الخرائط التي تبرز مختلف البطون القبلية المتآلفة ببلاد نكور إلى حدود بدايات القرن الرابع الهجري.

أحمد الطاهري : إمارة بني صالح في بلاد نكور ، مطبعة النجاح الجديدة 1998، ص:247.

* لا تشكل قبيلة "بني بونصار" حاليا غير فرع قبلي منضو تحت الاتحادية السرايرية.

**- أورد « G. Maurer » بخصوص هذه الاتحادية معلومة تاريخية مفادها أن التكتل المذكور كان قائما في فترة الحكم الموحدي، ذلك استنادا إلى ما ذكره « A. Rénisio » في درساته اللسانية المذكورة، ولأن الأمر منطو في نظرنا على تأويل خاطئ لبعض المعطيات، فقد ر أينا أن نفرد له هذه الأسطر التوضيحية:

أورد « A.Rénisio » في مؤلفه رواية شفوية باعتبارها نصا لسانيا وظيفيا من جهة، وباعتبارها حكاية شعبية عجيبة من جهة ثانية، والحكاية المذكورة تتضمن إشارة إلى أن بطلها "مفتاح بن عمار" كان قائدا على "بني بونصار" ، ولأن « E. Levi-Provençal » قد أشار بدوره إلى أن الشخص المذكور كان قائدا على قبائل

عبد الرحمان الطيبي في بحثه المذكور(في سياق غير الذي نبحث فيه) تظهر أن هذا التكتل يمتد على الأقل إلى حدود العشرية الثانية من القرن نفسه[12].

2- قبيلة ايث ورياغل

و هي إحدى أقدم و أكبر قبائل الريف الأوسط، يمتد وجودها إلى ما يزيد عن عشرة قرون، إذ يخبرنا البكري عن وجود قبيلتي ايت ورياغل و كزناية في القرن11م، و عن مساهماتهما منذ قرون عدة في الحياة السياسية لمملكة النكور[13]. لكن و على الرغم من اتفاق معظم الباحثين على انتماء القبيلة إلى الاتحاد البطوئي العظيم، فإن هناك تضاربا جليا في الروايات القديمة بخصوص أصول هذه الاتحادية القبلية (صنهاجية أو زناتية؟).

فمن الذين اعتبروا القبيلة من صميم الشعب الزناتي نجد ابن حوقل و عبد الحق البادسي و أيضا صاحب الذخيرة السنية، بينما أدرج آخرون القبيلة و في مقدمتهم ابن خلدون- ضمن الطبقة الثالثة لشعب صنهاجة[14].

و يبدو واضحا إذن أن منشأ الخلاف في شأن انتماء القبيلة الورياغلية راجع أساسا إلى وجهة نظر المؤرخين من هذه الاتحادية القديمة، إذ نظر إليها كل فريق باعتبارها كيانا متجانس الأصول، و من هؤلاء نذكر تمثيلا لا حصرا قول المؤرخ المرحوم عبد الوهاب بنمنصور في تعريفه بقبيلة بطوية : هي إحدى بطون صنهاجة، و يقال لها أيضا بطيوة، و هي قبيلة شهيرة لها ذكر يذكر في التاريخ

صنهاجة "غدو" خلال فترة الحكم الموحدي، فإن الباحث « G. Maurer » استنتج من ذلك أن التكتل القبلي "صنهاجة بني بونصار" كان قائما خلال تلك المرحلة، ولعل الخطأ الذي لم يتفطن له الباحث «G. Maurer » هو أن الحكاية/المصدر لا تتضمن أي إشارة إلى التكتل المذكور، إذ أن راوي الحكاية وهو يتحدث عن"بني بونصار"، فهو يقصد القبيلة الحالية التي ينتمي إليها، والمعروف أيضا في الإطار أن قبائل كثيرة تنسب إلى نفسها بطولات مشتركة.

[12]- عبد الرحمان الطيبي، م.س، ص:182.

[13] -G.Maurer,op. cit. p :13

[14]- التقي العلوي، م.س، ص:208.



المغربي، كانت مواطن معظمهم بريف المغرب الأقصى و شبه جزيرة "هرك"، التي تقع على ساحله الشرقي مدينة مليلية. و على ساحله الغربي قرية "غساسة". و كانت بطوية تشمل ثلاثة بطون كبيرة: بني ورياغل، قرب المزمة(الحسيمة)، و بقيوة جيرانهم الغربيون، و أولاد علي بتفرسيت. و قد تدخلت الفروع محل الأصل، فتلاشى اسم القبيلة في تلك الناحية، فلا يذكر به إلا أسماء بعض الأسر[15].

هذا في الوقت الذي يرجح فيه أخرون أن الاتحادية كانت مزيجا من وحدات قبلية مختلفة الانتماء (صنهاجية و نفزية و زنانية و غير ذلك)[16].

و بغض النظر عن انتماء القبيلة الورياغلية النواة إلى أي من الأرومتين (زناتة/صنهاجة)، فإن مجال القبيلة قد عرف على العهد المريني، و خلال فترة التكتل السالف الذكر، وفود مجموعات بشرية زناتية كبيرة، و ذلك بدعم و تشجيع من السلاطين المرينيين[17]، و هو النزوح الذي أثر بشكل عميق في تشكل الشخصية الثقافية لقبائل الريف[18].

بهذا المعنى إذا، و بمقابلة هذه الآراء، يمكن ترجيح كفة الأصول المزدوجة لقبيلة آيث ورياغل، و نعني أنها من أصول صنهاجية و زناتية في آن معا.

3- قبيلة تاركيست

و هي إحدى القبائل الصغرى للريف الأوسط، تشكل إلى جانب قبيلة "ايت مزدوي" المجال القبلي الفاصل بين قبيلتي "ايت ورياغل" و "صنهاجة السراير"، كانت تعرف إلى حدود الربع الأول من القرن التاسع عشر باسم قبيلة "بني عبد الرحمان"[19]. لكن و على الرغم من الاستقرار البشري

---

15 : - عبد الوهاب بنمنصور : م،س : ص:330

16- التقي العلوي: م،س ، ص: 209.

17 - G. Maurer, Op. cit. p :13

18 -Ibid

19- استنادا إلى بعض الإشارات التاريخية الواردة في بعض الوثائق المحلية.

القديم الذي عرفه مجال القبيلة، و الذي يمتد إلى حدود القرن الخامس عشر[20]، فإننا لا نجد للقبيلة ذكرا في مجمل المؤلفات التاريخية التي تناولت أو أشارت إلى مجال الريف المغربي، و هو ما يجعل من أي محاولة لفك مستغلقات السؤال التاريخي للقبيلة عملا قائما على رزمة افتراضات، ينذر أن نجد ما يؤكدها من داخل المصادر و المراجع التاريخية.

أشار الباحث عبد الرحمان الطيبي إلى أن القبيلة ذات أصل أمازيغي صنهاجي استنادا على الأرجح[*] إلى ما رواه درويش موليراس، و هو أمر لا يبدو راجحا، ذلك أن موليراس أو درويشه الموهوب لم يقل أن القبيلة تندرج ضمن قبيلة زرقت الصنهاجية، بل أشار فقط إلى انتمائهما إلى قسمة قبيلة واحدة"[21]، و شتان بين الأمرين.

تجدر الإشارة أيضا إلى أن القبيلة قد عرفت بدورها نزوحا زناتيا مكثفا على العهد المريني، إذ كانت تعرف– في تلك المرحلة- بقبيلة "بني بوزكري"، و دليلنا على التواجد المريني بالقبيلة نستمده من بعض معطيات الطوبونيمية و الاركيولوجية المحلية، ذلك أن القبيلة تحتضن

- عبد الرحمن الطيبي، م.س، ص: 183.

أما الاسم الذي تعرف به حاليا، أي "تركيست" فيمتد حسب ما يوجد بحوزتنا من وثائق إلى تاريخ أدناه 1178 هـ .

وللتوضيح أكثر، فإن القبيلة وخلال المرحلة الفاصلة بين ظهور اسم "تركيست" واختفاء اسم "بني عبد الرحمن"، كانت تعرف بالاسمين معا. ويؤكد الباحث ادريس التسولي، في هذا الباب، تواتر روايات شفوية عديدة تؤكد أن القبيلة تنتسب إلى جد أعلى يدعى "عبد الرحمان" تعود أصوله إلى منطقة تافيلالت.

[20]- وذلك اعتمادا على بعض الإشارات التاريخية الواردة في بعض الوثائق المحلية.

-عبد الرحمن الطيبي، م.س، ص:181.

[*]- أقول "على الأرجح" لأن الباحث لم يشر إلى المصدر الذي اعتمده في إقراره بالأصول الصنهاجية للقبيلة.

[21] -A. Moulièras, Op. Cit. p :84

العديد من الخرائب و بقايا الآثار الدالة على وجود الساكنة المذكورة (مقابر، قصبات...)، لازالت تعرف إلى يومنا ب"بني مرين" أو "بني مريم" (في تحوير واضح من طرف الأهالي للفظ الأول).

أما بخصوص عملية التعريب التي عرفتها المنطقة و التي أسهمت بشكل بارز في تشكل الشخصية الثقافية للقبيلة، فتشكل بدورها إحدى الحلقات الغامضة التي تستوجب الكثير من البحث البحث و التنقيب، و لأن الأمر كذلك، فسنكتفي بصياغة فرضية تاريخية عامة نحاول من خلالها تحديد المرحلة التاريخية التي تم فيها تعريب القبيلة.

إننا نفترض أن عملية التعريب هاته، تكاد لا تخرج عن المسار التاريخي لعملية التعريب الطارئة على مجمل قبائل الريف الأوسط، لاسيما قبائل الريف الساحلي (بني بوفراح، بني جميل، بني يطفت)، و هي القبائل التي استقبلت أفواجا من المهاجرين (عرب الأندلس) الفارين من جحيم القشتاليين، في سلسلة من الهجرات المتوالية التي بدأت قبل عام (1492م)[*]، و التي استمرت بعد ذلك طويلا إثر سقوط مملكة غرناطة و ذلك إلى حدود 1630[22].

أما لماذا نؤكد على هذا الارتباط الوثيق، فنكتفي بصدده بالإشارة إلى وجود قرائن طوبونيمية هامة تظهر ارتباطا ملفتا للانتباه بين قبيلتي "تاركيست" و "بني بوفراح"، منها على الخصوص عدد من الوحدات الطوبونيمية المنتشرة بالقبيلتين، و التي تأتي على صيغة المركب الإضافي التالي: "دار فلان"، و مثال ذلك: دار مصباح[**] "بتاركيست" و دار القابط "ببني بوفراح"[23].

---

[*]- عرفت قبائل ساحل الريف الأوسط هجرات أندلسية ابتداء من القرن 8 الميلادي.

- عبد الرحمان الطيبي، م.س، ص:143.

[22] - P. Pascon et Herman Van Der Wusten : op. cit. p :61.

[**]- استنادا إلى رواية الباحث "إدريس التسولي" فإن "مصباح" المشار إليه أعلاه هو مصباح بن يحيى الأندلسي.

ويؤكد "بول باسكون" من جهته إلى أن مدشر "ابحياتن" البوفراحي ينحدر من جد أعلى هو يحيى المذكور، فر من مدينة مالقة إبان حروب الاسترداد .

4- قبيلة "ايث مزدوي"

و هي إحدى القبائل الصغرى بمجال الريف الأوسط، و التي لم نجد لها ذكرا على غرار قبيلة "تاركيست" في أي من المصادر التاريخية القديمة، التي تناولت أو أشارت إلى بعض قبائل الريف، غير أن عددا من الإشارات الواردة ضمن بعض الوثائق المحلية تفيد بأن القبيلة كانت قائمة في ذات المجال الذي تحتله حاليا، و ذلك ابتداء على الأقل من العقد الخامس من القرن الحادي عشر الهجري.

من بين الملاحظات التي يمكن إثارتها بخصوص القبيلة، نذكر مثلا غياب أي إشارة إلى القبيلة ضمن اللائحة التي أوردها « A.Rénisio » في مقدمة دراسته اللسانية[24]، و التي تضمنت جردا شاملا لمجوع قبائل الريف و صنهاجة السراير، نذكر أيضا عدم إدراج القبيلة ضمن مؤلف « A. Moulièras » في الوقت الذي تم تخصيص فقرة خاصة لقبيلة "زرقت" و "تاركيست"[25]، و هما للإشارة قبيلتان واقعتان في تماس مباشر مع مجال قبيلة "ايت مزدوي"، كما أن مساحتهما أصغر بقليل من مساحة القبيلة المذكورة.

يمكن أن نشير أيضا إلى إحدى المنزلقات التي وقع فيها بعض الباحثين بخصوص الهوية اللسنية للقبيلة، إذ أشار كل من التقي العلوي[26]في دراسته التاريخية و« A.Rénisio » [27] من خلال خريطة أرفقها بدراسته المذكورة، إلى أن القبيلة عربية اللسان (عربفونية)، و هو المنزلق الذي يمكن أن يقف عليه أي عابر بين مداشر القبيلة.

---

[23] : مدنا بهذه المعطيات الطوبونيمية الباحث "إدريس التسولي" مشكورا .

[24] - Voir à ce propos : A.Rénisio, op.cit. pp :6-10

[25] - Voir à ce propos : A. Moulièras : op. cit. pp : 83- 84.

[26]- التقي العلوي، م.س، ص: 207

[27] - A.rénisio, op. cit. p : 317.

كما أن الرواية الشفوية التي راكمناها بخصوص القبيلة لم تتضمن أي إشارة إلى أن المسار السوسيو لساني التاريخي للقبيلة قد عرف في مرحلة ما هيمنة عربية دارجية.

بقي أن نشير إلى أن مقاربة مسار تشكل القبيلة من وجهة نظر الجينيالوجيا الأمازيغية الكلاسيكية يظل أمرا مستعصيا، بل ويكاد يكون متعذرا، وذلك لأسباب عديدة، منها على وجه الخصوص ما يرتبط بانعدام تام للمادة المصدرية المشيرة إلى القبيلة، ينضاف إليه صغر مساحة القبيلة وتشكلها التاريخي الحديث مقارنة مثلا مع قبيلة آيت ورياغل المجاورة.

لذا سنكتفي في هذا الإطار بإيراد مؤشرين غير حاسمين، لكننا نعتقد أنهما يستنبطان الكثير من الأبعاد والدلالات، أولهما شهادة الطوبونيمية المحلية على استقرار صنهاجي قديم* و ثانيهما إقرار شيوخ القبيلة الذين جالستهم –على الأقل- بأصولهم الصنهاجية.**

خاتمة

حاولنا عبر ثنايا هذا المقال الموجز تسليط بعض الضوء على تاريخ مجال حوض تاركيست، في شكل ومضات كاشفة لهوية النسيج القبلي الذي تحضنه، و ذلك من منظور الجينيالوجيا الأمازيغية الكلاسيكية. و إذا كان العرف الأكاديمي يقضي بالخلوص إلى نتائج، و فتح آفاق جديدة للبحث، فإن أهم خلاصة يمكن أن نختم بها هذا المقال هي رجحان الرأي القائل بغلبة العنصر الصنهاجي على النسيج القبلي الذي يحضنه المجال المدروس، و ذلكم طرح يستلزم -في تقديرنا- وجود أنوية

---

* - نستشهد بوحدتين طوبونيميتين:

- أقاروع أوزناك (اصنهاج)، الواقع بمجال مدشر "اعزوزن"
- أفراس أوصنهاج، الواقع بمجال مدشر "امزيرن نرهاني"

** - أدرج الباحث التقي العلوي قبيلة "ايت مزدوي" ضمن القبائل المشكلة لاتحادية صنهاجة السراير. وهو الأمر الذي لم نقف على ما يثبته في كل المصادر التي اعتمدناها ضمن هذه الدراسة (سواء دراسات أو وثائق محلية أو روايات شفوية).

ثقافية كبيرة تجمع ساكنة المجال. فهل يستقيم إذا، افتراض وجود تقاطعات سوسيوثقافية بين قبيلتي: آيث ورياغل (المزدوجة الأصول) وقبيلة زرقت الصنهاجية تماثل حجم التقاطعات الممكنة بين القبيلة الأولى و قبيلة "آيث توزين" الزناتية ؟

إن الملاحظة الأولية تفيد بنقيض ذلك تماما، لذا كنا في مفترق طرق بين فرضيتين اثنتين: إما أن الركون إلى التصنيفالجينيالوجي الكلاسيكي قد أصبح حشوا يـُجتر فقط لإظهار أصالة كاذبة، واستدرارا لاعتراف بعض مؤسسات البحث العلمي التي تقودها رهانات تقليدانية. أو أن البحث التقابلي في أشكال الوشائج السوسيوثقافية القائمة بين القبائل يستدعي غوصا إلى قرار البنيات العميقة لأشكال التعبير الثقافي، و لربما تفاجأ السائرون في طريق هذه الفرضية بترامي حدود الصلات الثقافية التي تجمع بين قبيلتي: آيث ورياغل و زرقت. السؤال مفتوح إذا، و تيمات البحث المقارن وفيرة، فلينطلق مشروع البحث قبل أن تشتد رياح المد العولمي العاتية، تلك التي ستدك آخر قلاع الأصالة، و ستحيل الحوض و غيره من بقاع الجنوب صفصفا قعقعا لا صوت فيه إلا ما كان صدى مبحوحا لصوت الغرب الجهوري المهيب، أتراكم تسمعون؟

ببليوغرافيا

باللغة العربية

- أزايكو علي صدقي: تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة، إصدارات مركز طارق بن زياد، ط.1. 2002.
- بنمنصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط.
- الطاهري أحمد: إمارة بني صالح في بلاد نكور، مطبعة النجاح الجديدة 1998.
- الطويل أحمد:"حوض تاركسيت وهوامشه، دراسة إقليمية"، بحث لنيل الإجازة، فاس 1979/1978.



- الطيبي عبد الرحمن: المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية: قبائل ساحل الريف الأوسط من 1860 إلى 1912 .بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، في التاريخ المعاصر، الجزء الأول السنة الجامعية 1992-1993.

- العلوي التقي: "أصول المغاربة: القسم البربري" مجلة البحث العلمي، ع.27.

باللغة الأجنبية

- A. Moulièras : Le maroc inconnu ,Exploration du RIF. La librairie colonial et africaine, première partie,1895.

- A. Rénisio : « Etude sur les dialéctes bérbères des Beni Iznassen Du Rif et des Sanhaja de Sraîr » édition Ernest Leroux 1932.

- P. Pascon et H.V. Der Wuten : Les Beni Boufrah. Essai d écologie sociale d une vallée rifaine. PI, Rabat 1983.

- S . Colin : « Le parler Bérbère de Ghomara », hesperis, Tome IX, 1929.

- Dictionnaire de linguistique, librairie larousse,